التغيير في استراتيجيات المتشددين يسلط الضوء أكثر على فشل السياسة الأميركية

تركيز طالبان والقاعدة على التوسع محليا لا ينفي احتمال استهداف واشنطن مستقبلا

لفتت سيطرة حركة طالبان على أفغانستان والتغيرات الطارئة على أيديولوجيات التنظيمات الإسلامية المتشددة واستراتيجياتها انتباه محللين وخبراء إلى أن تركيز الحركات المسلحة أكثر على توسعها داخليا عوض رسم أهداف خارجية، يعكس بشكل كبير فشل سياسة الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب العابر للحدود والتي دفعت بالقوات الأميركية لخوض حروب خارجية ضدّ التنظيمات الإسلامية المتشددة طوال عقود.

حرب غيرت استراتيجيات التنظيمات الجهادية

جيمس دورسي
باحث في السياسات الدولية

واشنطن - يشير التحوّل النموذجي في التفكير الجهادي إلى أن الغزو الأميركي لأفغانستان ربما حقق أكثر مما يريد العديد من خبراء مكافحة الإرهاب أن يعتقده صانعو السياسة والاستراتيجيون العسكريون.

وبالمثل، يلمح التحول في النموذج أيضا إلى احتمال أن يتحول وجود مجموعات إسلامية وجهادية متشددة في أفغانستان تحكمها طالبان إلى ميزة في الجهود المبذولة لمنع العنف السياسي واحتوائه.

ويتضمن التحول الابتعاد عن أعمال العنف العابرة للحدود مقابل التشدد المحلي وحشد الدعم الشعبي من خلال الحكم القائم على تفسير شديد المحافظة للإسلام. إنه اختلاف في الاستراتيجية يشكل أحد الاختلافات الرئيسية بين القاعدة والدولة الإسلامية.

> **تحول التفكير الجهادي قد يصبح حجة أخرى لتبرير قرار مستقبلي محتمل بسحب القوات الأميركية من العراق وسوريا**

ويرى الباحث حسن حسن، أن "هذا ليس بسبب ضعف أيديولوجية الجهاديين: بل لأنهم تعلموا أن دعوة الجيوش الحديثة لعمليات انتقامية ساحقة هي أسرع طريقة لتبديد نفوذهم وإجبارهم على البدء من جديد. وعلى عكس فهم البعض الانسحاب الأميركي في أفغانستان، فإن الدرس الذي يستخلصه المتطرفون من نجاح طالبان ليس مجرد أن الجهاد يعمل ولكن الدبلوماسية والمشاركة تعدّ جزءا ضروريا من العملية، والتي تتضمن طمأنة الغرب بشأن التهديدات الخارجية الناشئة من مناطقهم. وما يمكن كسبه من الصفقات في الدوحة هو أكثر أهمية واستمرارية من أي هجوم إرهابي".

ويرقى هذا التحول إلى العودة إلى نمط التشدد الإسلامي المتجذر تاريخيا في المظالم والصراعات المحلية. ويصف حسن الجهاد العابر للحدود الذي يمارسه تنظيم الدولة الإسلامية والذي يستهدف الغرب، والذي اعتنقه تنظيم القاعدة منذ فترة طويلة، باعتباره انحرافا عن ذلك التاريخ أيضا.

وأشار المحلل الأفغاني عبد السيد إلى أن القاعدة "حوّلت التركيز من الهجمات الإرهابية العالمية والعمليات الخارجية إلى دعم الجماعات الجهادية المحلية في جميع أنحاء جنوب آسيا، وتغذية الروايات التي تدعم أهدافها. وساعد هذا التحول في بناء المرونة، مما سمح للقاعدة بالبقاء على الرغم من الضربات الهائلة التي وجهتها الولايات المتحدة وحلفاؤها لها".

ويبدو أن خسارة الدولة الإسلامية لدولتها البدائية في سوريا والعراق وانتصار طالبان في أفغانستان يبرران هذا التحول في النموذج.

وسيُبرر التحول في الاستراتيجية الجهادية بشكل أكبر إذا أدى انتصار طالبان أيضا إلى تعزيز الاتجاهات الدينية المتطرفة في باكستان المجاورة.

وقد يتشجع المحافظون المتطرفون والجهاديون من المعارضة الأخيرة من رجال الدين المسلمين، بما في ذلك الممثل الخاص لرئيس الوزراء الباكستاني للوئام الديني والشرق الأوسط حافظ طاهر محمود أشرفي، لصياغة قانون يحظر الأسلمة القسرية.

ونتيجة لذلك، يمكن أن يصبح التحول حجة أخرى لتبرير قرار مستقبلي محتمل من الرئيس جو بايدن بسحب القوات الأميركية من العراق وسوريا، والتي تقرر إرسالها في الأصل لمحاربة الدولة الإسلامية، كجزء من الخطوط العريضة لعقيدة بايدن.

وقال المحللان هال براند ومايكل أوهانلون، "ليس هناك شك في أن الحرب العالمية على الإرهاب لم تسر كما هو مخطط لها... ومع ذلك، سيكون من الخطإ ببساطة تجاهل الحرب باعتبارها فشلا استراتيجيا. وتعكس حقيقة أن الرؤساء المتعاقبين قد وجدوا صعوبة كبيرة في إخراج الولايات المتحدة من العمليات الجارية في الشرق الأوسط الكبير حقيقة التهديد المستمر من المنظمات المتطرفة وحلفائها".

وقد يكون براند وأوهانلون يرسمان صورة مفرطة في التفاؤل. حيث لن ترقى أفغانستان التي تحكمها طالبان في أفضل الحالات إلا جزئيا إلى معايير النجاح المنصوص عليها في مقال صحافي حديث. وقد يمنع إشراف طالبان الجهاديين من استهداف الولايات المتحدة وغيرها، لكنها ستستمر في توفير ملاذ آمن لهم، مما يسمح لهم بالتجنيد.

وقال الباحث الأفغاني أنطونيو جوستوزي "كونك توفّر ملاذا آمنا للجهاديين العالميين والعمل كقاعدة انطلاق للهجمات ضد الغرب ليسا نفس الشيء.

ومع ذلك، قد تبرز مشكلة تمكن طالبان من السيطرة على الدولة الإسلامية، الجماعة الجهادية الوحيدة التي ترفض قبول استيلائها على أفغانستان أو جعل حركة طالبان الباكستانية تتبنى التحول في الاستراتيجية. ويمكن تحطيم شبح طالبان إذا انشق عدد كبير من مقاتلي الجماعة إلى الدولة الإسلامية احتجاجا على قيام الجماعة بمراقبة المسلحين على الأراضي الأفغانية و/أو تبني درجات من التحرر الاجتماعي، وإذا بدأت تظهر علامات استفهام حول قدرة طالبان على مراقبة تلك الجماعات التي رحبت بانتصارها و/أو تعهدت بالولاء لها.

وأفاد جوستوزي أنه على عكس المسلحين الباكستانيين كعسكر طيبة وعسكر جانغفي والحركة الإسلامية في أوزبكستان، رفضت حركة طالبان الباكستانية والقاعدة التفاوض على اتفاقيات من شأنها إحكام سيطرة طالبان بنقلهما إلى أجزاء مختلفة من البلاد.

وبحسب ما ورد، فإن الاتفاقات المقترحة تتماشى مع المطالب التي تقدمت بها الصين بأن تضمن طالبان منع المسلحين على الأراضي الأفغانية من التدريب وجمع الأموال والتجنيد.

وبدا أن المتحدث باسم حركة طالبان في قطر، سهيل شاهين أقر بالمطالب في مقابلة مع صحيفة غلوبال تايمز التابعة للحزب الشيوعي الصيني. لكن ذبيح الله مجاهد، وهو المتحدث الرئيسي باسم طالبان في كابول، ترك الباب مفتوحا في الشهر الماضي بخصوص علاقة طالبان بحركة طالبان الباكستانية.

وبالمثل، ظهرت خلف الواجهات تصدعات بين طالبان والقاعدة قبل انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان، مما دفع الجماعة، مثل حركة طالبان الباكستانية، وفقا لجوستوزي، إلى رفض التفاوض على صفقة مع الأفغان وحشد الدعم من بين فصائل طالبان الأكثر تعاطفا مع الجهاديين.

وكانت القاعدة حذرة مما قد يعنيه اتفاق طالبان مع الولايات المتحدة للجماعة واشتبهت في أن للأفغان يدا في قتل العديد من كبار أعضائها في السنوات الأخيرة. كما تخشى أن تعرض تفاهمات طالبان مع الصين وروسيا حرية الحركة و/أو وجودها لخطر أكبر. وتوقع مسؤولو المخابرات الأميركية فشل طالبان في السيطرة على جميع الجهاديين على الأراضي الأفغانية و/أو تبني التحول الاستراتيجي النموذجي من بعض الجماعات الجهادية الرئيسية.

ورجح المسؤولون أن تكون القاعدة قادرة على إعادة تشكيل نفسها في أفغانستان وتنظيم هجمات على الولايات المتحدة في غضون سنة أو إثنتين.

وتعززت توقعاتهم من خلال عودة أنور الحق مجاهد إلى أفغانستان لقيادة قوات طالبان والمقاتلين الأجانب في شرق أفغانستان.

ومع ذلك، لا تنفي عودة مجاهد التحول المحتمل في استراتيجية القاعدة التي تدعمها طالبان. ويمكن أن تكون طريقة طالبان لاسترضاء الجماعة وأولئك الأكثر تشددا داخل صفوفها.

وقال الباحث كول بونزل "على الرغم من استمرار العلاقة، تبقى لدى طالبان مصلحة قوية في كبح جماح القاعدة... ولا يصعب تخيل سيناريو توفر فيه طالبان المساحة والدعم المالي للقاعدة للعمل مع تقييد أنشطة المجموعة للتخطيط للهجمات وشنها أيضا".

هل تصمد طالبان في حكم بلد مزقته الاضطرابات والحروب

كابول - لا تزال تحركات حركة طالبان التي استولت على مقاليد الحكم منذ منتصف أغسطس الماضي تثير مخاوف محللين حول مصير أفغانستان، حيث يتساءل الكثير منهم إن كانت الحركة المسلحة ستصمد في حكم هذا البلد الذي لطالما مزقته الاضطرابات والحروب.

ويقول أروين راحي المستشار السابق لحاكم ولاية بارفان الأفغانية في تحليل نشرته مجلة "ناشونال إنترست" الأميركية، إن الهدوء الذي تشهده حركة طالبان حاليا خارج وادي بانشير، حيث تستمر المقاومة ضد الحركة، قد يكون الهدوء الذي يسبق العاصفة كما هي العادة في أفغانستان.

ويرى راحي أن التحديات التي ورثتها طالبان والأخطاء التي ارتكبتها خلال الشهر الماضي قد قوضت شرعيتها، وستمثل حجر عثرة في طريقها لحكم أفغانستان، وبذلك سينتهي قريبا شهر العسل بالنسبة إلى طالبان.

أفغانستان.. هدوء ما قبل العاصفة

وكان الخطأ الأول لطالبان، في رأي راحي، هو إطلاق سراح جميع السجناء. ولو أفرجت الحركة فقط عن أعضائها لكان ذلك مبررا في سياق الصراع.

ثم هاجمت طالبان وادي بانشير وعلى الرغم من أن الحركة أعلنت انتصارها، فإن الاحتفال بهذا النصر سابق لأوانه، إذ لا تزال جبهة المقاومة الوطنية بقيادة أحمد مسعود في وادي بانشير، تحتفظ بالجبال، وإزاحة الجبهة مهمة ضخمة ليس من المضمون نجاح طالبان فيها.

وإذا استمرت الجبهة في الصمود ضد طالبان، من المرجح أن تمتد المقاومة ضدها إلى أجزاء أخرى من أفغانستان.

وكان الخطأ الثالث الذي ارتكبته طالبان، بحسب راحي، السماح للجنرال فايز حميد المدير العام للاستخبارات المشتركة بين الأجهزة في باكستان بالظهور علنا في العاصمة الأفغانية كابول.

وأضرت زيارة حميد العلنية لأفغانستان بشدة بسمعة طالبان وأثارت تساؤلات خطيرة حول تأثير الاستخبارات الباكستانية على الحركة.

أما الخطأ الأكبر الذي ارتكبته طالبان حتى الآن فهو الإعلان عن تشكيل حكومة أحادية العرق تقريبا. وكان البشتون، الذين تتراوح نسبتهم بين 40 و45 في المئة من سكان أفغانستان، يشكلون أكثر من 90 في المئة من التعيينات الوزارية.

ورغم ذلك أعلنت طالبان الثلاثاء بقية تشكيلة حكومتها لتصريف الأعمال، وشملت المناصب الجديدة تعيين شخصية من المقيمين في ولاية بانشير بشمال شرق البلاد قائما بأعمال وزير التجارة، واختيار نائب لوزارة الصحة من أقلية الهزارة. وكانت المجموعة الأولى من التعيينات التي أصدرتها الحركة أثارت انتقادات لعدم شمولها، حيث كانت الأغلبية فيها من قيادات طالبان وقبيلة البشتون. ولكن لم تتضمن التعيينات في المرتين أي امرأة.

ولاسترضاء منتقدي الحركة من المحليين والأجانب وصفت طالبان حكومتها بأنها مؤقتة يفترض أن تحل محلها هيئة أكثر دواما في مرحلة ما في المستقبل.

ويرى راحي أنه بالنظر إلى سجل طالبان في الكذب وخرق وعودها، ليس هناك أمل كبير في أن تفي بوعدها هذه المرة. وبالإضافة إلى أن حكومة طالبان أحادية العرق وتتمحور حول البشتون، يهيمن عليها تماما من يسمون بالملالي، وهم شبه ملمين بالقراءة والكتابة. ومعظم أعضاء الحكومة لا يتمتعون بتعليم عال أو مهني، ناهيك عن التعليم ذي الصلة بحقائبهم الوزارية. وحتى مؤهلاتهم الدينية تبدو مشكوكا فيها لأن معظمهم لا يتحدثون العربية، وهي اللغة التي تتحدثها المدارس الدينية في أفغانستان وباكستان، وقد اضطروا إلى استخدام المترجمين الفوريين للتواصل مع مضيفيهم القطريين في الماضي.

> **من المرجح أن تمتد المقاومة ضد طالبان إلى أجزاء أخرى من أفغانستان إذا استمرت جبهة المقاومة الوطنية في الصمود ضدها**

ويرى راحي أن طالبان تواجه عدة تحديات منها أن إعلانها عن تشكيل حكومة أحادية العرق لن يساعدها في السيطرة على الوضع الهش في أفغانستان. ولا يمكنها تجاهل الرغبة في مزيد من الحقوق والمشاركة في المجتمع التي يحتفظ بها الشباب الأفغان، ولاسيما النساء.

ويشير المحلل إلى أن أفغانستان الآن على شفا انهيار اقتصادي. وفي ظل نفاد السيولة النقدية بسبب تجميد الأصول الأفغانية لدى الولايات المتحدة، أصبح حتى من كانوا ميسوري الحال في ظل حكومتي حامد كرزاي وأشرف غني يكافحون اقتصاديا.

وفي أوائل أغسطس أفادت الأمم المتحدة بوجود أكثر من 10 آلاف مقاتل أجنبي في أفغانستان. وكان ذلك قبل أن تفرج طالبان عن المقاتلين الأجانب الإضافيين من السجون.

ويبدو أن طالبان لا تسيطر كثيرا على هؤلاء المقاتلين الأجانب، ولاسيما مقاتلي "داعش خراسان" الذين تعتبرهم الحركة عدوها اللدود.

كما أن رغبة طالبان في حكم أفغانستان بحكومة مركزية قوية مقرها كابول سوف تأتي بنتائج عكسية قريبا. ومن الناحية التاريخية لم يكن للأفغان خارج كابول اعتبار يذكر لأهل السلطة في العاصمة. فالأفغان أكثر ولاء لشيوخهم المحليين والإقليميين والقبليين من الذين يجلسون على مقاعد السلطة في كابول، وبالتالي سيقاومون أي تغيير يفرض من أعلى إلى أسفل يأتي من العاصمة.

ويقول الكاتب إن حركة طالبان تسير في الاتجاه المعاكس، ومن ثم فهي تضع الأساس لزوالها.

وأخيرا يرى راحي أن القتال العسكري الذي خاضته طالبان ضد الولايات المتحدة وحلفائها الأفغان كان هو ما حافظ على تماسك الحركة، لكن مع انسحاب القوات، تفكك هذا التماسك وبدأت خلافات حادة تظهر داخل صفوف الحركة. ومع مرور الوقت، من المرجح أن تزداد هوة هذه الخلافات الداخلية.